أ ب ب

النفقـة الحـلال

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنـزيل : ﴿ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ﴾ [التحريم:٦].

هذه هي الخطبة الخامسة في سلسلة الأسرة والتربية، ومرة خامسة أقول: إنَّ سبب اختياري لهذه السلسلة الأسرة والتربية، داخل الأسرة، وداخل البيت، أننا اليوم أحوج ما نكون إلى أبٍ مربٍّ وإلى أم مربيةٍ, فالحرب على الإسلام مشتعلة، وسهام أعداء المسلمين تتوجه اليوم إلى تربيتنا الإسلامية, يريدون أن يسحبوا أولادنا من تحت أيدينا، يريدون أن يربوا جيلاً جديداً يركع لغير الله تعالى، ويخضع لأعداء المسلمين، ويستكين لتوجيهاتٍ خارجةٍ عن القرآن والسنة، وإذا كنا نُحارَب بالسلاح فالرد يكون بالسلاح، وإذا كنا نُحارَب بالاقتصاد فالرد يكون

بالاقتصاد، وإذا حوربنا بالتربية فالرد يكون بالتربية، فالحفاظ على الأسرة والاهتمام بالتربية, هذه هي سلسلة الخطب على هذا المنبر، فقد تكلمنا عن أهمية الأسرة، وعن أهمية التربية، وتحدثنا عن اختيار الزوجة وأثره في التربية، وعن اختيار الزوج، وأثره في التربية، وعنوان خطبة اليوم: **النفقة الحلال وأثرها في التربية**.

* عن أبي هريرة d، قال: قال رسول الله ﷺ: «دينارٌ أنفقْتَهُ في سبيل الله, ودينار أنفقتَه في رقبة -يعني لأجل عتق رقبة- ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلِكَ, أعظمُها الذي أنفقته على أهلك -يعني: أعظمها أجراً ومثوبة- » والحديث عند الإمام مسلم [1].

* عن سعد بن أبي وقاص d ، أن النبي ﷺ قال: «إنك مهما أنفقتَ على أهلك من نفقةٍ، فإنك تؤْجَرُ حتى اللقمة ترفعها إلى فم زوجتك -يعني: لك بها أجر- » والحديث عند الإمام البخاري ومسلم وأحمد[2].

---

[1](?) أخرجه مسلم:995، وأحمد: (2/473)، من حديث ـ أبي هريرة d.

[2](?) أخرجه البخاري: 2591، ومسلم:1628، وأحمد: (1/172)، من حديث سعد بن أبي وقاص d

* قال رسول الله ﷺ: «ما أطعمتَ نفسَكَ فهو لك صدقة، وما أطعمت ولدَكَ فهو لك صدقة، وما أطعمت زوجتَك فهو لك صدقة، وما أطعمت خادمَك فهو لك صدقة», والحديث عند أحمد[1].

* قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرء إثماً أن يُضيِّع مَنْ يَقُوتُ» -يعني: من يعيل ويربي- والحديث في مستدرك الحاكم[2].

أيها الإخوة الكرام: هذه مجموعةُ أحاديث شريفة فيها ذكرُ شيءٍ من ثواب النفقة على الأهل والأولاد، فنفقتك على أهلك أعظمُ مِن نفقتك في سبيل الله، كما سمعتُم في الحديث، ونفقتك على زوجتك وأولادك هي بمنـزلة الصدقات والمبرات، وأنت مأجور على اللقمة ترفعها إلى فم زوجتك، لكن هذه الأجور العالية مصروفةٌ لك إذا كانت نفقتك حلالاً، وهي مصروفة عنك محجوبة عنك إذا كانت النفقة حراماً، والعياذ بالله، بل إن من أنفق نفقة حراماً حوسب بها وُعذِّب، ولم ينَلْ من الأجر شيئاً، قال رسول الله ﷺ ، كما في معجم الطبراني: «مَن

---

[1](?) أخرجه أحمد: (4/131)، من حديث المقداد بن معدي كرب d.

[2](?) أخرجه النسائي وأبو داوود بسند صحيح.

كَسبَ من مالٍ حرام، فأعتقَ فيه، ووصل به رحمه، كان ذلك إصراً عليه»[2] أي: كل هذه النفقات بدل أن تكون أجراً صارت وزراً وإصراً! وفي رواية «من اكتسب مالاً من مَأْثَـم، فوصلَ به رَحِمَهُ، أو تصدق به، أو أنفقه في سبيل الله جُمع ذلك كلُّه فُقذِفَ به في جهنم»[3] والعياذ بالله تعالى.

مثل الذي ينفق على أولاده -أيها الإخوة- مثل الذي يسقي زرعه، فمن سقى زرعه ماءً طيباً أعطاه ثمراً طيباً, ومن سقى الزرع بماء الأوساخ والأقذار ساء ثمرُه وفسدَ زرْعُه، وهكذا من أنفق على عياله من حلال نشأ الأولادُ نشأةً طيبة، ومن أنفق على أولاده من حرام نشأ الأولاد نشأةَ فسادٍ وسوء، والعياذ بالله تعالى، فللنفقة إذاً أثر كبير في تربية الأولاد، وبين يديّ نماذجُ من النفقة الحلال وأثرِها على الأولاد، أذكرُها لكم ثم أُنهي الخطبةَ بوصيتين:

- محمد بن إسماعيل البخاري، هذا رجل صاحب أصحِّ كتاب بعد القرآن الكريم عند المسلمين، المعروف بصحيح البخاري، ومحمد بن إسماعيل

---

(2) معجم الطبراني.

(3) المراسيل لأبي داود رقم 131

البخاري, توفي سنة ست وخمسين ومئتين للهجرة من ذلك العام، وإلى يومنا أي: مدة ألفٍ ومئة وواحد وسبعين 1171 عاماً، وما زال العلماء والفقهاء، والوعاظ والخطباء يعتمدون على كتاب محمد بن إسماعيل البخاري يترحمون عليه وعلى والديه، ويترضّون عنه وعن والديه الذَين أنشآه هذه النشأة، ومحمد هذا هو ثمرةٌ من ثمار أبيه، فأبوه إسماعيل عندما كان في سكرات الموت كانت ابنته جالسةً بقُربه فصارت تبكي، لِما ترى من شدة وعناء ما يقاسيه ويعانيه أبوها، بكت البنتُ أباها الذي يُحتَضَرُ، وجبينُه يتعَّرق، وسكراتُ الموت نازلة به، فتح إسماعيل عينيه، ونظر إلى ابنته، وقال: يا بنية لمَ تبكين؟ فوالله ما أدخلتُ إلى جوفي، ولا إلى جوفكم لقمة حرام

وكافأ اللهُ إسماعيلَ ببركةِ نفقته الحلال، ولعلها كانت قليلة، لعله كافأه بأن جعل من صلبه ولداً يترضى عليه العالمُ آلاف السنين، ترى غداً إذا صرت قريباً من الموت ما ستقول لابنتك؟ النفقة الحلال لها أثر كبير في الأولاد وفي نشأتهم, من سقى أولاده ماءً صافياً نبتوا نباتاً حسناً.

روى ابن يزيد عن جدّه أسلم قال: بينما كنت مع عمر بن الخطاب، وهو يعسُّ بالمدينة -يعني يتفقد الرعية بالليل- إذا هو قد أعيا -تعب- فاتكأ على جانب جدارٍ في جوف الليل، فإذا امرأةٌ تقول لابنتها: يا بنتاه, قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء -يعني: اخلطيه بالماء- فقالت لها ابنتها: يا أماه أما علمتِ ما كان من عزم أمير المؤمنين اليوم أن لا يُشابَ اللبنُ بالماء؟ فقالت الأم: قومي إلى اللبن فاخلطيه بالماء، فإنك في موضع لايراكِ فيه عمر، ولا منادي عمر، فقالت البنت لأمها: إذا كان عمر لا يراني، فأين ربُّ عمر؟ والله ما كنت لأطيعه علانيةً وأعصيه سراً -أُظهِرُ للناس بأني طائع لله لكنني إذا خلوت في مكتبي عصيتُه، لكني إذا خلوت في دفاتر حساباتي خالفتُه، يراني الناس في الصلاة، وفي الصوم، وفي الحج لكنهم عند الحلال والحرام يفتقدونني- والله ما كنت لأُطيعه علانيةً وأعصيه سراً، وكان عمر في استناده على الجدار يسمع هذا الحوار، فالتفت وهو يقول: يا أسلمُ, ضَعْ على هذا الباب علامة، ثم مضى أمير المؤمنين في عسِّه، فلما أصبح ناداني: يا أسلم, امضِ إلى البيت، وانظر القائل، وانظر المقولة إليها، قال أسلم: فمضيت فأتيت الموضع، فإذا ابنةٌ لا زوجَ

لها تقيم مع أمها، وقد مات أبوها، يعملان في بيع اللبن-يعني: في بيع الحليب- فرجعت إلى أمير المؤمنين، فأخبرته الخبر، فدعا إليه أولادَه، فجمعهم حوله، ثم قال لهم: هل منكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه فتاة كان من أمرها كذا وكذا؟ فقال له ولده عاصم: يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة، فإني أحقُّ بزواجها، فبعث أمير المؤمنين مَن يخطب ابنةَ بائعةِ اللبن لابن أمير المؤمنين، فزوجه إياها، فكانت عند عاصم زوجةً صالحةً طائعة، ترعى مع زوجها النفقةَ الحلال، فولدت له بنتاً، ثم كبرت البنت فتزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له خامسَ الخلفاء الراشدين عمرَ بن عبد العزيز، الخليفة لم تعلم الدنيا له نظيراً في العدل والنـزاهة بعد الخلفاء الأربعة، النفقة الحلال سَرَتْ من الأجداد إلى الأولاد، إن النفقة الحلال لها أثر كبير في إنشاء أولادك.

المالُ يذهب حلُّه يوماً وتبقى بعدَه آثامُهُ
ليس التقي بمتَّقٍ حتى يَطيبَ شرابُه وطعامُهُ
ويطيبَ ما يجني ويطيبَ مِن حُسْنِ

نطقَ النبيُّ لنا عن ... فعلى النبيِّ صلاتهُ

إن النفقة الحلال -أيها الإخوة- تؤدي إلى نتيجةٍ حسنة في الأولاد، أما النفقة الحرام فإنها تهلك صاحبها، وتهلك أولادَه في الدنيا قبل الآخرة.

تاجرٌ غنيٌّ جمع لنفسه ولأولاده مالاً كثيراً، لكنه كان معروفاً بين الناس بأنه لا يُحِلُّ ولا يُحَرِّم، مصلحتُه فوق الشرع، ومالُه فوقَ كلِّ آيهٍ وحديث، وجَمْعُ المال عنده أساس الحياة، ودرّس أولاده في أرقى المدارس، وسافروا إلى أجمل البلدان الأوروبية, عاشوا في البذخ، وتربُّوا في النعيم، كبر الأولاد، وكبر معهم الأب، أُصيب الرجلُ بمرض أقعده الفراش, فاضطر إلى تحرير وكالة لأحد أبنائه لمتابعة أمور الشركة، وأمور المصارف، فما كان من الابن إلا أن استغل هذه الوكالة العامة، وأجرى عقود بيع صُوْرِية لكل ممتلكات أبيه لإخوته وأولاده، ثم ازداد مرضُ الأب، وضاق الأولاد بأبيهم ذرعاً، فكان منهم أن اشتروا له داراً صغيرة في حي ناءٍ عن المدينة، ووضعوا له أجيراً يخدمه، وتركوه وراحوا يتنعمون بالمال، هو الذي زرع فهو الذي حصد.

إنَّ هذا الأب سقى أولاده المال الحرام فخرج النبتُ نباتاً سيئاً، فكان أول من أصيب بالمال الحرام هو جامع هذا المال الحرام.

القصة الثانية فيها أثر المال الحرام وهنا يأتي دور الأم, صيغت القصةُ شعراً:

حَكَمَتْ عليه حكومةُ الإسلام ... قطع التي سرقت على الأيام

فاستنفر الجلادُ يحملُ سيفَهُ ... واستصرخ المحكومُ بالحكَّام

قال: اسمعوني مهلكم وتثبّتوا ... وتتبَّعوا مستودَعَ الآثامِ

قد كنتُ طفلاً فاستهنتُ ببيضة ... فسرقتُها مستخفياً بظلام

وأتيتُ أمي مستشيراً عقلَها ... هل كان يُرضي عقلَها إقدامي

فمضتْ تزغردُ ثم قال لسانُها ... مرحى حبيبي صرتَ كالضرغام

ومضى عليَّ الدهرُ أحفظُ قولَها ... وغدا بظلمِ الآمنينَ غَرامي

فعليكُم بلسانِ أمي إنَّهُ ... أصلُ الجريمةِ يا أولي الأفهام

المال الحرام يهلك الأولاد، المال الحرام ينشأ الأولاد نشأة سيئة، لا تستطيع بعدها أن تعتني بهم، وغداً عندما يموت أحدنا سيذكر في قبره: كيف أطعم أولاده من حلال أو من حرام؟ لقد كان شعارُ المسلم ولازال في كسبه وماله أن يقول: « أما الحرامُ فالمماتُ دُوْنَهُ» أموتُ ولا آكلُ الحرام، أموتُ

ولا أُطعمُ أولادي من الحرام، كانت المرأةُ من السلف -إذا ودَّعت زوجَها عند الصباح- تقول له: يا رجل اتقِ اللهَ فينا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام! نحن نحتمل جوعَ هذا اليوم, نحتمل أن لا نكون في أماكن فيها عِزٌّ مادّي، لكننا لا نحتمل غداً نار جهنم, اتَّقِ الله فينا فإننا نصبر على الجوع، ولا نصبر على الحرام.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ تربية الأولاد مثل تربية الزرع والثمار، الماء الطيب ينبت زرْعاً طيباً، والماء الفاسد ينبت زرعاً فاسداً، ما المطلوبُ منا في ختام هذه الخطبة ؟

المطلوب من كل واحد فينا رجلاً كان أو امرأة، أمران اثنان :

❖الأمر الأول: أن يتعلم كلٌّ منا أحكامَ الحلال والحرام في بيعه وشرائه، وسائرِ معاملاته المالية، وإن كنتَ لا تدري فاذهب إلى من يدري، واسألْهُ، ولعلنا في يوم من الأيام إن شاء الله تعالى سنعقد دورة في هذا المسجد في فقه المعاملات المالية، ليتعلم أحدنا أين الحلال وأين الحرام، في بيعه وشرائه! المطلوب أولاً: أن يتعلم كلٌّ واحد منا أحكامَ

الحلال والحرام في بيعه وشرائه، وسائر معاملاته المالية.

❖المطلوب الثاني: أن يتجنَّبَ المالَ الحرام، فلا يُدخله على نفسه، ولا على أولاده.

قال رسول الله ﷺ: «لا تزولُ قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه, وعن جسده فيما أبلاه, وعن علمه ماذا عمل به, وعن ماله من أين أكتسبه وفيما أنفقه» [1].

والحمد لله رب العالمين

---

[1](1) أخرجه الترمذي (2602) عن أبي برزة الأسلمي d.